أم قبيحة ؟ لا نتصور أن يمهلنا حتى يعتبر مخارج الحروف ثم يحكم بالحسن أو بالقبح .

فالحسن – عنده – معلوم قبل إدراك التقارب أو التباعد ، بدليل وجود كثير من المفردات التي تقاربت مخارجها وهي حسنة رائقة مثل (جيش) و (شجى) ، ومفردات تباعدت مخارجها ومع ذلك فهي قبيحة مثل « ملع »[١] .

ويبدو أن ابن رشيق كان يرى التقارب في المخارج من أسباب ثقل الكلمة ؛ ومن ثمَّ كان يعيبها النقاد كما « عاب ابن العميد حبيباً لقوله :

كَرِيمًا مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالوَرَى مَعِي وَمَتَى لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي

بالتكرير في أمدحه ، مع الجمع بين الحاء والهاء في كلمة واحدة ، وهما معا من حروف الحلق .»[٢]

أما العلوي فلم يكتف بتناول هذا الإطار الدلالي المفرد ، بل تجاوزه إلى الحرف المعزول دلاليا . فعلى الرغم من كونه خارج إطار الدلالة إلا أن استعماله يتصل بعملية النطق ، وما يكتنفها من سهولة أو صعوبة ، وجهر وهمس ، وشدة ورخاوة ، ولين وإطباق ، وانفتاح وانخفاض واستعلاء ، وهي أمور حاول بعض الدارسين المحدثين الربط بينها وبين الإطار الدلالي الواسع للكلام ، وخاصة عندما يقع حرف منها في القافية[٣] . وقد أشار العلوي إلى أن الأحرف الشفهية أخف الأحرف موقعًا ، وألذها سماعًا ،

(١) ابن الأثير : المثل السائر ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ – ٢٢٥ . (٢) ابن رشيق : العمدة ،ج ٢ ، ص ٢٠٤ .
(٣) محمد الهادي الطرابلسي : خصائص الأسلوب في الشوقيات . منشورات الجامعة التونسية ،١٩٨١ . ص ٥٤ وما بعدها .